سورة الإنفطار

مكية، وآياتها ١٩
[نزلت بعد النازعات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱنفَطَرَتْ﴾ انشقت ﴿فُجِّرَتْ﴾ فتح بعضها إلى بعض، فاختلط العذب بالمالح، وزال البرزخ الذي بينهما، وصارت البحار بحرًا واحدًا وروي أنّ الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار، فتصير مستوية، وهو معنى التسجير عند الحسن، وقرئ: فجرت، بالتخفيف. وقرأ مجاهد: فجرت على البناء للفاعل والتخفيف. بمعنى: بغت لزوال البرزخ نظرًا إلى قوله تعالى: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمٰن: ٢٠] لأنّ البغي والفجور أخوان. بعثر وبحثر بمعنى/ ٢/ ٢٥٦أ، وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة إليهما. والمعنى: بحثت وأخرج موتاها. وقيل: لبراءة المبعثرة؛ لأنها بعثرت أسرار المنافقين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ وكيف طابق الوصف بالكرم إنكار الاغترار به[1]، وإنما يغترّ بالكريم، كما يروى عن عليّ ـ رضي اللّه عنه ـ أنه صاح بغلام

(١) قال محمود: «إن قلت: قوله ما غرك بربك الكريم ما معناه وكيف يطابق الوصف بالكرم... إلخ»؟ قال أحمد: حجة الزمخشري ههنا فارغة؛ فإن الآية إنما وردت في الكفار، بدليل قوله: (كلا بل تكذبون بالدين) ونحن نوافقه على خلودهم وانقطاع معاذيرهم، لا على أن تخليدهم واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة، فإن الله لا يجب عليه شيء. ويجوز عقلاً أن يثيب الكافر ويخلده في الجنة، وبالعكس في المؤمن؛ ولولا ورود السمع بإثابة المؤمنين وعذاب الكافرين فيتعين المصير إليه، لكان ما ذكرناه في الجواز والاحتمال؛ فإن الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

له كرّات فلم يلبه، فنظر فإذا هو بالباب، فقال له: ما لك لم تجبني؟ قال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك، فاستحسن جوابه وأعتقه (١٧١٧)، وقالوا: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه. قلت معناه أنّ حق الإنسان أن لا يغترّ بتكرم الله عليه، حيث خلقه حيًا لينفعه، وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب، اغترارًا بالتفضل الأوّل، فإنه منكر خارج من حد الحكمة، ولهذا: قال رسول الله ﷺ لما تلاها. «غرّه جهله» (١٧١٨) وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: غرّه حمقه وجهله. وقال الحسن: غرّه والله شيطانه الخبيث، أي: زين له المعاصي وقال له: افعل ما شئت، فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أوّلا وهو متفضل عليك آخرًا، حتى ورّطه وقيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامة وقال لك: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ ماذا تقول؟ قال أقول: غرّتني ستورك المرخاة. وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر، وليس باعتذار كما يظنه الطماع، ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم: إنما قال ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ دون سائر صفاته، ليلقن عبده الجواب حتى يقول: غرّني كرم الكريم. وقرأ سعيد بن جبير: «ما أغرّك» إما على التعجب، وإما على الاستفهام؛ من قولك: غرّ الرجل فو غارّ: إذا غفل، من قولك: بيتهم العدوّ وهم غارّون. وأغرّه غيره: جعله غارًا ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ فجعلك سويا سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾ فصيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، ولا بعض الشعر فاحمًا وبعضه أشقر. أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائمًا لا كالبهائم. وقرئ «فعدلك» بالتخفيف وفيه وجهان، أحدهما: أن يكون بمعنى المشدّد، أي: عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني ﴿فَعَدَلَكَ﴾ فصرفك. يقال: عدله عن الطريق يعني: فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق. أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيئات. ﴿مَّا﴾ في ﴿مَّا شَآءَ﴾ مزيدة، أي: ركبك في أيّ صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة، والشبه

١٧١٧ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٦٧) وقال الحافظ: لم أجده. انتهى.

١٧١٨ ـ رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٥) عن صالح بن مسمار قال: بلغني أن النبي ﷺ تلا هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ ثم قال: جهله.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ١٦٧) للثعلبي في تفسيره وأبي عبيد في فضائل القرآن وكذا عزاه الحافظ لأبي عبيد في فضائل القرآن أيضًا.

قال الحافظ: أخرجه أبو عبيد في فضائله عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان، عن صالح بن مسمار قال بلغني أن النبي ﷺ تلا هذه الآية فذكره. انتهى.

ببعض الأقارب وخلاف الشبه فإن قلت: هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها؟ قلت: لأنها بيان لعدلك. فإن قلت: بم يتعلق الجار؟ قلت: يجوز أن يتعلق بركبك. على معنى: وضعك في بعض الصور ومكنك فيه، وبمحذوف أي ركبك حاصلاً في بعض الصور؛ ومحله النصب على الحال إن علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك، ويكون في (أيّ) معنى التعجب[1]، أي فعدلك في صورة عجيبة، ثم قال: ما شاء ركبك. أي ركبك ما شاء من التراكيب، يعني تركيبًا حسنًا.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾

﴿كَلَّا﴾ ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به. وهو موجب الشكر والطاعة، إلى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية. ثم قال: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ أصلا وهو الجزاء. أو دين الإسلام. فلا تصدّقون ثوابًا ولا عقابًا وهو شرّ من الطمع المنكر ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠﴾تحقيق لما يكذبون به من الجزاء، يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها. وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم: تعظيم لأمر الجزاء، وأنه عند الله من جلائل الأمور؛ ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه، ويجازي به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة. وفيه إنذار وتهويل وتشوير للعصاة[2] ولطف للمؤمنين وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدّها من آية على الغافلين.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦﴾

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦﴾ كقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، ويجوز أن يراد: يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك، يعني: في قبورهم، وقيل: أخبر الله في هذه السورة أنّ لابن آدم ثلاث حالات: حال الحياة التي يحفظ فيها عمله، وحال الآخرة التي يجازى فيها، وحال البرزخ وهو قوله: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦﴾.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝١٩﴾

---

(١) قوله: «معنى التعجب» لعله: التعجُّب. (ع)

(٢) قوله: «وتشوير العصاة» أي إخجال اهـ كذا بهامش وفي الصحاح «الشوار» الفرع. ومنه قيل: شور به أي كأنه أبدى عورته. (ع)

يعني أن أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدّة/ ٢/ ٢٥٦ب وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه، والتكرير لزيادة التهويل، ثم أجمل القول في وصفه فقال ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أي: لا تستطيع دفعًا عنها ولا نفعًا لها بوجه ولا أمر إلا لله وحده. من رفع فعلى البدل من يوم الدين، أو على: هو يوم لا تملك. ومن نصب فبإضمار يدانون؛ لأنّ الدين يدل عليه. أو بإضمار اذكر. ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في محل الرفع.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة» (١٧١٩).

١٧١٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦).

قال الحافظ: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بسندهم إلى أبي بن كعب. انتهى.

obeikandl.com